ما الذي كان ينتظره بالضبط؟ لم يكن أحد ليعلم ذلك علم اليقين، حتى في صفوف المقرَّبين منه. والصحيح أنه كان قد صعّد باتّجاه الشمال مُصْطَحِباً فقط العساكر الجاهزين الذين كان «هرمز» قد انضمّ إليهم على رأس فرقة فرسانه الأرمنية. ولم يكن من ريب في أن الملك كان يأمل في مَدَد. بيد أن شيئاً لم يكن لُينبىء بأن «ڤاليريان» لن يتلقّى مَدَداً هو الآخَر من (أميزيا) أو (غزة) أو (تدمر) أو (البحر الأسود). وكان «شاهبور» يعرف ذلك كلّه. وكان يسعى إلى أن يستخلص منه خُطّة وازناً ورائزاً مختلف الخِيارات المُتاحَة له. وكانت اللحظات النادرة التي كانت فيها ومضة إثارة تبعث الحياة في عينيه هي التي كان حاجبه يُدْخِل فيها خيمته ضابطاً من الكشافة أو جاسوساً متنكِّراً في زيّ مَعّاز من (أسروين). وكان في وسع الملك أن يقضي مع مثل هذين ساعات طويلة على انفراد، ونادراً ما كان يتدخّل للحدّ من ثرثرتهما مسائلاً إيّاهما بحماسة عارمة، بل مُشرِّفاً إياهما أحياناً بوجبة على مائدته.

لم يكن «ماني» قد راقب قطّ «شاهبور» في غِمار الحرب. وكان، هو الذي تبعه في الأساس للسهر على صحّته، يجده فجأة وقد تجدّدت قواه وشبابه وتبخّرت نوبات الحمّى منه. وكان ملك الملوك يُشعر جميع مَنْ حوله بأنّه مسيطر على أدقّ عناصر الموقف وعارف كلّ يوم عن يقين بما سيحدث في الغداة. وإنّه لانطباع مغالى فيه ولا ريب، ولكنْ هكذا كان ينظر إليه جميع المقاتلين في تلك اللحظة، وهكذا كانوا يعترفون به قائداً وزعيماً ويعهدون بأنفسهم إليه من أجل الحياة ومن أجل الموت. وعلى هذا كان «ماني» يراقبه بشيء من الإعجاب. وعلى الرغم من التقائه العاهل في مناسبات شتّى، ولا سيما في احتفال الاستيقاظ، فنادراً ما كان يُستشار.

ومع ذلك فقد حدث يوماً أن جاء أحد الحرّاس في ساعة القيلولة يستدعيه على عجل إلى الخيمة الإمبراطورية. وكان قد اجتمع فيها حول «شاهبور» وولديه «بهرام» و«هرمز» قائد فرقة الخيّالة المدرّعة، والقيّم على دار الصناعة، وأعيان «الديوان» الرئيسيون، و«كردير» رئيس الكهنة، وفي وسط هذا المجلس